المحاضرة الرابعة: التقنيات العلمية – شكل البحث

مقدمة

يُعدّ الشكل الخارجي والتنظيمي للبحث من أهم عناصر نجاحه وقبوله في الأوساط العلمية. فالبحث العلمي التاريخي لا يُقيَّم فقط من خلال مضمونه، بل أيضًا من خلال قدرته على احترام القواعد الشكلية التي تعبّر عن التزام الباحث بالمنهج العلمي وذوقه في العرض والتنظيم. وتشمل التقنيات العلمية المتعلقة بـ"شكل البحث" جملة من العناصر الأساسية، أبرزها: **إعداد البطاقات البحثية، تنظيم الفصول والعناوين، إعداد المقدمة والخاتمة.**

أولًا: إعداد البطاقات (Les fiches de lecture / de travail)

I: تعريف

البطاقة البحثية أداة تقنية يستخدمها الباحث التاريخي لتسجيل المعطيات والمعلومات المستخلصة من المصادر والمراجع أثناء مراحل البحث، وهي تُسهّل عملية التوثيق والتحليل والتنظيم المعرفي للمادة التاريخية. كوحدة عمل منهجية يُدوّن فيها الباحث ملخصًا أو اقتباسًا أو فكرة تحليلية مستقاة من مرجع ما، بهدف ترتيب الأفكار وبناء خطة البحث بطريقة علمية دقيقة.

ومن الجانب الوظيفي تعد البطاقة عبارة عن وسيلة لحفظ وتنظيم المعلومات التي يعتمد عليها الباحث في صياغة الفرضيات، وبناء الفصول، وتحليل الوقائع التاريخية، مع ضمان إمكانية العودة السهلة إلى المصدر الأصلي وبذلك تعد مرآة للعقل التحليلي للباحث، إذ لا تُسجَّل فيها المعلومات بشكل آلي فقط، بل تُرفَق عادة بملاحظات شخصية، وأسئلة نقدية، أو تأملات منهجية حول المادة المدروسة.

والبطاقة، بحسب وظيفتها، قد تكون بطاقة تلخيصية تلخّص مضمون المصدر، أو تحليلية تعبّر عن فهم الباحث وتفسيره، أو اقتباسية تنقل نصوصًا حرفية تُستخدم لاحقًا في التوثيق العلمي. وقد تقدم البطاقة كورقة عمل التي يدوّن فيها الطالب الباحث ملاحظاته حول مرجع معين، سواء كانت فكرية أو منهجية، بهدف استخدامها في البحث النهائي بطريقة مرتبة وعلمية.

II: أنواع البطاقات:

_ 1_ بطاقة القراءة (Fiche de lecture)

بطاقة القراءة هي **أول وأبسط أنواع البطاقات** التي ينجزها الباحث أثناء اطلاعه على مرجع معين، سواء كان كتابًا أو مقالة علمية. وتُستخدم هذه البطاقة لتسجيل **البيانات الببليوغرافية الكاملة** مثل: اسم المؤلف، عنوان المرجع، دار النشر، سنة الطبع، وعدد الصفحات، مع ملخص عام لمحتوى المرجع أو قسم معين منه.

أهميتها:

- تساعد الباحث على بناء قاعدة بيانات ببليوغرافية منظمة.
- تُعينه لاحقًا على اختيار المراجع المناسبة لكل فصل أو مبحث.
- تُشكل مرجعًا سريعًا لاستعادة المعلومة دون العودة إلى الأصل في كل مرة.

مثال محتوى البطاقة:

- العنوان: *الجزائر في التاريخ _ العهد العثماني_*
- المؤلف: نصر الدين سعيدوني الشيخ المهدي بوعبدلي
- الملخص: يتناول الكتاب تطور الإدارة والسياسة العثمانية في الجزائر من القرن 16 إلى 19م، مع تحليل للبنية الاجتماعية والعسكرية للبايلكات.

2_ بطاقة التلخيص (Fiche de résumé)

تُعنى هذه البطاقة بتسجيل **تلخيص موجز لفكرة أو فقرة أو فصل** من مرجع معين، لكن بأسلوب الباحث نفسه. وهنا يُمارس الباحث مهارة إعادة الصياغة، مما يطور من قدرته على الاستيعاب والنقد.

أهميتها:

- تساعد على التخلص من الحشو اللغوي والمعلومات غير الأساسية.
- تعزز الاستقلالية في صياغة المادة العلمية.
- تُستخدم لاحقًا في بناء أجزاء من فصول البحث عند صياغة الأفكار العامة.

مثال:

المرجع: عبد الرحمن الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*

التلخيص: أوضح المؤلف أن الفقهاء والزوايا لعبوا دورًا مزدوجًا في الحياة الاستعمارية: روح المقاومة الثقافية، وأداة للحفاظ على الهوية الدينية والاجتماعية للجزائريين.

3_ بطاقة الاقتباس (Fiche de citation)

يُدَوَّن في هذه البطاقة **نص حرفي** مقتبس من المصدر، يُحاط غالبًا بعلامات اقتباس "" أو يُوضع في فقرة منفصلة مع تحديد المرجع الكامل ورقم الصفحة.

أهميتها:

- تُستخدم مباشرة عند الكتابة النهائية للبحث لدعم فكرة أو نتيجة.
- تُسهم في التوثيق الدقيق للمعلومة التاريخية.
- تتيح للباحث الاستشهاد بكلام المؤرخين أو الوثائق الرسمية.

مثال:

"السلطة العثمانية في الجزائر لم تكن استعمارًا، بل حمايةً عسكريةً أملتها ظروف البحر المتوسط."

سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص. 145.

ملاحظة منهجية :يجب على الباحث أن لا يُفرط في استخدام بطاقة الاقتباس حتى لا يصبح عمله مجرد تجميع.

4_ بطاقة الفكرة أو التحليل (Fiche d'analyse ou d'idée personnelle)

هذه البطاقة تُعد من **أرقى مراحل الاشتغال الفكري** للباحث، إذ يُسجل فيها **تحليله الشخصي، أو تأملًا، أو نقدًا، أو تساؤلًا** حول معلومة أو ظاهرة تاريخية وردت في مرجع ما.

أهميتها:

- تُعبر عن استقلالية الباحث وتطوره الذهني.
- تُغذي الخاتمة أو النتائج.
- تساعد في توليد إشكاليات فرعية أو فرضيات جديدة.

مثال:

يبدو أن غياب الوثائق المحلية حول مقاومة الزعاطشة قد سَهّل على المؤرخين الاستعمارين فرض قراءتهم الأحادية، وهو ما يستدعي مراجعة الروايات الشفوية وإدماجها ضمن النقد التاريخي.

5_ بطاقة الموضوعات أو التصنيف (Fiche de classement thématique)

هذه البطاقة تُستخدم لتجميع المعلومات وتصنيفها **حسب محاور أو عناصر الخطة**، بدلًا من الاعتماد على ترتيب الكتب فقط. وهي تقنية فعّالة جدًا عند البدء بتركيب الفصول النهائية للبحث.

أهميتها:

- توفّر نظرة شاملة ومترابطة حول كل مبحث
- تُسهل نقل البطاقات المصنفة مباشرة إلى المباحث والفصول.
- تُمكّن من كشف الفجوات أو التكرار في المادة المجموعة.

مثال:

المحور: الإدارة العثمانية في الجزائر

البطاقات المرتبطة: [بطاقة عن البايلربايات – بطاقة عن القضاء – بطاقة عن الجباية]

كل نوع من البطاقات يخدم غرضًا مختلفًا داخل المنهجية التاريخية. استخدام هذه البطاقات بشكل متكامل يُمَكِّن الباحث من تنظيم مادته، تعميق فهمه، وضمان بناء علمي رصين للبحث. كما تُساعده هذه الأدوات على المرور من **المرحلة التوثيقية إلى المرحلة التحليلية والتأليفية** بسلاسة ومنهجية.

III محتوى البطاقة البحثية في التاريخ

يمثّل محتوى البطاقة البحثية اللبنة الأساسية في تنظيم المعرفة التاريخية خلال مراحل إعداد البحث. ويجب أن يكون هذا المحتوى دقيقًا، موحدًا من حيث الهيكلة، وقابلاً للاسترجاع لاحقًا. وفيما يلي العناصر الأساسية لمحتوى البطاقة، مع شرح وظيفي لكل منها:

1_ عنوان المرجع واسم المؤلف

_ **التعريف**: العنصر الأول في البطاقة، ويتضمّن الاسم الكامل للمرجع (كتاب، مقال، وثيقة...) واسم المؤلف بصيغته العلمية المعروفة.

_ **الأهمية**: يُحدد المصدر الذي استُقيت منه المعلومة أو الفكرة. ويُتيح توثيقًا علميًا دقيقًا. كما يُساعد على تصنيف البطاقات حسب المؤلفين أو المدارس التاريخية. مثال:

المؤلف: عبد الله العروي

المرجع: العرب و الفكر التاريخي

2_ بيانات النشر (مكان، دار، سنة): وهي المعلومات المتعلقة بطبعة المرجع: مكان النشر، دار النشر، وسنة الإصدار. وتكمن اهميتها انها تُستخدم لاحقًا في إعداد قائمة المراجع. وتسمح بالتمييز بين طبعات متعددة لنفس المرجع. كما تُفيد عند التحقق من رقم الصفحة أو الاقتباس.

_ **مثال**: بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2010.

تُسجَّل هذه البيانات وفقًا لقواعد التوثيق المعتمدة (APA، شيكاغو، هارفارد...).

3_ الفكرة الأساسية أو المقتطف ونعني بها جوهر البطاقة، ويضم إما:

تلخيصًا موجزًا لفكرة مركزية أو فقرة من المرجع (بطاقة تلخيص).

أو نصًا مقتبسًا حرفيًا يوضع بين علامات تنصيص (بطاقة اقتباس).

واهميتها تغني قاعدة المعلومات الخاصة بالباحث. وتُستخدم لبناء صلب الفصول وتحليل المحاور. كما تشكل مضمون البحث العلمي.

_ **مثال تلخيص:**

يرى العروي أن الفكر العربي الحديث لا يزال محكومًا بثنائية الأصالة والمعاصرة، وهو ما يعيق الانتقال إلى عقل تاريخي حديث.

_ **مثال اقتباس:** " لا يمكن تحديث المجتمع العربي دون تحديث بنيته العقلية أولاً."

4_ ملاحظات الباحث: وهي تعليقات شخصية أو تحليلات نقدية يدوّنها الباحث على هامش الفكرة أو النص المقتبس، ويمكن أن تشمل: _ تساؤلات منهجية. _ مقارنة بمراجع أخرى. _ علاقة الفكرة بخطة البحث.

وتكمن اهميتها في انها تُميز بين القارئ السلبي والباحث التحليلي، وتُعزز البعد النقدي للبحث، كما تُستخدم لاحقًا في قسم المناقشة أو الخاتمة.

_ **مثال:** هذه الفكرة تعكس توجه العروي العقلاني، لكنها لا تتضمن معالجة للبعد الديني في تطور الفكر العربي.

5_ رقم الصفحة للإحالة الدقيق: ونعني بذلك رقم الصفحة أو الصفحات التي استُخرجت منها الفكرة أو النص، ويُذكر بدقة لتسهيل الرجوع إلى الأصل.

و رقم الصفحة للإحالة الدقيق هو امر ضروري في التوثيق العلمي للهوامش والحواشي. ويُجنب الباحث تهمة النقل غير الدقيق أو الانتحال. كما يُساعد في مراجعة الأفكار أو إعادة الاقتباس بدقة

المحتوى المنظم للبطاقة لا يعكس فقط قدرة الباحث على التنظيم، بل يُعد تدريبًا أوليًا على الصرامة المنهجية، والدقة العلمية، والتفاعل التحليلي مع المعلومة. وينبغي للطلبة التدرّب على هذه العناصر منذ المراحل الأولى من إعداد البحوث الأكاديمية.

IV فوائد استخدام البطاقات:

- تنظيم المادة العلمية.
- تسهيل العودة للمعلومة بدقة.
- بناء خطة البحث بشكل منطقي.
- دعم استقلالية التفكير والتحليل.

ثانيًا: تنظيم الفصول والعناوين

I <u>أهمية الهيكلة</u>: تنظيم الفصول والعناوين يُعدّ العمود الفقري لعرض البحث بشكل منطقي ومتسلسل، ويُعطي القارئ رؤية واضحة لمسار المعالجة التاريخية.

II المعايير المنهجية لتنظيم الفصول:

1. **الترتيب المنطقي** :من العام إلى الخاص، أو من البسيط إلى المعقد، أو حسب التسلسل الزمني.
2. **التوازن** :يجب أن تكون الفصول متقاربة في الحجم والأهمية.
3. **التدرج الهرمي**: الفصل (أول درجة) المبحث (ثاني درجة) المطلب أو العنصر (ثالث درجة)
4. **العناوين الدالة** :على الباحث أن يختار عناوين مختصرة، دقيقة، تعكس المحتوى بوضوح.

III نموذج لتقسيم منطقي لفصول بحث تاريخي

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي الفصل الثاني: السياق التاريخي العام الفصل الثالث: التحليل الموضوعاتي أو الإشكالي	الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي المبحث الأول: تحديد الإشكالية وفرضيات البحث المبحث الثاني: المنهج المعتمد والمفاهيم الأساسية الفصل الثاني: السياق التاريخي العام المبحث الأول: المعطيات الجغرافية والسياسية المبحث الثاني: القوى الفاعلة والرهانات الدولية الفصل الثالث: التحليل الموضوعاتي أو الإشكالي المبحث الأول: الأسباب والدوافع المبحث الثاني: النتائج والتحولات

ثالثًا: إعداد المقدمة والخاتمة في البحث التاريخي

تُعدّ كل من المقدمة والخاتمة من العناصر الجوهرية في أي عمل بحثي أكاديمي، حيث تمثل الأولى بوابة الدخول إلى الموضوع، وتمثل الثانية الملخص التحليلي للنهايات والاستنتاجات .لذا يتطلب الأمر إعدادًا دقيقًا ومتوازنًا لهذين الجزأين، لأنهما يعكسان بصورة مباشرة نضج الباحث وتمكنه من أدوات التحليل والعرض العلمي.

أولًا _ المقدمة

تُعد المقدمة بمثابة **العنوان التحليلي الأولي** للبحث، حيث تمنح القارئ المفتاح الأول لفهم الموضوع ومقاربته منهجيًا.

ويمكن ايجاز وظائف المقدمة:

1. **تقديم الموضوع للقراء** :أي التمهيد له بسياق عام أو خلفية تاريخية تمهيدية.
2. **إبراز أهمية الموضوع وحداثته** :لماذا اختار الباحث هذا الموضوع؟ وما دواعي الاهتمام به؟
3. **طرح الإشكالية** :تحديد السؤال المركزي الذي يسعى البحث للإجابة عنه.
4. **عرض المنهج المعتمد** :ما هي الأدوات أو المناهج العلمية التي سيستخدمها الباحث؟
5. **توضيح خطة البحث وأهدافه** :إعطاء صورة عن تسلسل الفصول ومخرجات البحث المرتقبة.

عناصر المقدمة المنهجية:

1_ **التمهيد العام (سياق الموضوع):**

يبدأ الباحث بجملة تمهيدية تُدخل القارئ في السياق العام للموضوع، سواء من زاوية تاريخية، فكرية، أو منهجية.

2_ **طرح الإشكالية (السؤال المركزي):**

تُصاغ الإشكالية بشكل تساؤلي أو تحليلي، تعكس مضمون البحث وتعقيده. ويُفضل أن تكون إشكالية مركبة تنبثق عنها تساؤلات فرعية.

3_ **عرض أهداف البحث:**

ما الذي يطمح الباحث لتحقيقه من خلال هذه الدراسة؟ هل هو اكتشاف، تحليل، تفسير، مقارنة...؟

4_ **ذكر المنهجيات:**

يُوضح الباحث ما إذا كان سيتبع منهجًا تاريخيًا وصفيًا، تحليليًا، مقارنًا، نقديًا، أو تركيبيًا.

5_ **مصادر ومراجع البحث بإيجاز:**

يُشير الباحث بإيجاز إلى تنوع المصادر (أولية وثانوية) ومدى غناها وأهميتها.

6_ **خطة البحث:**

يُنهي المقدمة بعرض مبسط للفصول والمباحث، دون تفصيل ممل، في سطرين إلى ثلاثة أسطر.

ملاحظات

- يُفضل أن تكون المقدمة مكتوبة **بلغة واضحة، مركّزة، ودقيقة**، تجمع بين الغنى المعرفي والاختصار المنهجي.
- لا يُستحسن أن تكون المقدمة مطوّلة على حساب باقي مكونات البحث.
- المقدمة الجيدة يجب أن تشدّ انتباه القارئ وتدفعه إلى استكمال القراءة بفضول علمي.

ثانيًا :الخاتمة

الخاتمة هي **الفضاء التحليلي الذي يُعيد فيه الباحث ترتيب نتائجه وأفكاره**، ويُقدّم من خلالها الخلاصات الكبرى لما تم التوصل إليه.

وظائف الخاتمة:

1. **تلخيص نتائج البحث المحصلة** :أي تقديم إجابة مركزة على الإشكالية المطروحة.
2. **بيان حدود الدراسة** :الإشارة إلى الجوانب التي لم تُغطّ بالكامل.
3. **فتح آفاق جديدة للبحث** :اقتراح مواضيع أو زوايا بحثية مستقبلية.
4. **تقديم موقف تحليلي خاص** :يُمكن للباحث أن يُعبّر عن رأيه العلمي في حدود ما يسمح به الطرح الأكاديمي.

خصائص الخاتمة الجيدة:

- لا تعيد تكرار فصول البحث، بل **تلخص الجوهر والمضامين الكبرى**.
- تتصف بالتركيب، والقدرة على **توحيد نتائج التحليل في رؤية متكاملة**.
- تقدم **لمسة شخصية** دون الوقوع في الذاتية.